اربع رسائل الى حبيبة نائية

١ ـ الافواه الجامدة

هل تعلمين كيف يعجز القلم
وكيف يغدو بائسا يستنزف الكلم
كالمومياء . كالمسوح
ويلاه ان تهدمت حروفه توشحت بدم
كأنها مسرجة في مأتم ينوح
ويلاه ان مضغتها . لفظتها من غير روح
كأنها غانية .. هفهافة الرداء
فستانها الوردي لا يبوح
بالحزن في أعماقها والصبر . والعناء

٢ ـ الرسالة الثانية

ليست رسالتي ـ يا مبتغاي ـ الاولى
سفحتها عشرين . لا تستغربي . رسمتها فصولا
في مرة عذبني الحنين
عيونه مخضلة كالمغرب الحزين
والنصل في يسراه .. والقيود في اليمين
صرخت القى مقلتيك كيفا ؟
يا نسمة تنسل صيفا !
والبعد حائط أصم
أواه لـو تهشمت جدرانه .. يخرّ . ينهدم !
يا منيتي ما نجتني من ليتا
هل نبتني فوق الرمال بيتا
لكنني والنار ترعى في دمي اشتاق
ما في يدي الذي اريد .. كيفا ؟
يا نسمة تنسل صيفا
وألف سور شائه يغوص في دمي المراق
يحول بيننا ـ حمامتي ـ ما اوحش الفراق

٣ ـ الكسرة والشاعر

في قنوة نغمها المذياع
عن عاشق مضى بلا وداع
تواثبت قلوب اهل الحي .. اطرقت اسماع
وبرهة تدحرجت في صيحة الاثير
انشودة من فرحة تطير
فاغرورقت عيون اهل الحي بشرا
ان كان هكذا الفنان .. لن اخط سطرا
ان لم يكونوا كسرة عجفاء في الطريق
ما بللتها في الزحام يد !
أو كوة مهجورة على دجى زنزانة تضيق
في ليلها بريئة بلا احد
ان لم يعيشوا وحدتي .. اساي ،
ما يهدني من قسوة الجفاف
سأترك الاشعار مضغة يلوكها سواي !
واكتفي بنظرة الغريب في الضفاف

٤ ـ الرسالة الاخيرة

والنهر حين يحمل النسيم للشمال
يدور حول قريتي ويلثم الرمال
أشم في المياه روح خصب
ونفحة من الشذى والحب
في مرة كتبت لي بان النهر ثار
ومثل افريقية ضفائر التيار
هرولت حيث قابلتني نسمة حنون
وأومأت كأنها يا منيتي عيون
كأنها تهب من شجيرة الليمون !
لمستها أطلقت للخواطر العنان
على حفيفها .. واهتز في المساء سنديان !
في ليلة عانقت في عيونك النهر
لمحت فيها زورقا يقول لي تعال
يا انت : يا كم هدنا الضياع في الليال
وكنت تنقرين يا حمامتي الشجن
وتضربين بالجناح لجة الخيال
حكيت عن غرام تائه شهيد
تضرجت أشلاؤه في حفنة النقود
فأجفلت عيناك وارتمت على البعيد
وقلت لي لا تبتئس فعصرنا ضريح
يعيش فيه ميت من غير روح
وكان في حديثك الجريح
خيط يضيء لي اعماق صخرة مشققه
كأنني فراشة تفر من ظلام شرنقه !
« لا تحملي همي
غراميَ القديـم مـات
وانه بقيـة من الرفات »
فاينعت عيناك في اشراقة الام
وهام صمت أبكم على الشفاه المطبقه

حدق الحارسان في بعضهما طويلا ، كان كلاهما جالسا في كوة المخفر الخشبي ، فوق اكياس الرمل ، مدليا ساقيه ، واضعا مدفعه الرشاش على فخذيه . كانت الشمس تتألق في السماء ، وظلال الاشياء صارت عمودية تحتها تماما . واخذت اشعتها تلهب قدمي الحارسين ، مخترقة طبقة من الرمال الدقيقة على حذاءيهما ، ففرقت اقدامهما في العرق . والتفت الحارس الجنوبي داخل مخفره ، واخذ يعد الالواح الخشبية في الجدران والسقف .

ومن ناحية الشرق ، اقبلت سيارة جيب ، وراحت تعبر التلال الجيرية ، والصخور الحجرية ، والرمال الصفراء . كانت تعلو مرة وتنخفض اخرى ، محاذية الاسلاك الشائكة ، في طريقها الى المخفر الجنوبي . ومن ناحية الغرب ، اقبلت سيارة جيب اخرى ، واخذت ترقى تلا بازلتيا واطئا ، ثم انحدرت من قمته وراحت تمرق باتزان على رمال حمراء ، تتناثر فوقها الحشائش والاشواك ، وعند المخفرين وقفت العربتان واستدار كل من الحارسين : طوح ساقيه فوق اكياس الرمل ، وعبر ارض المخفر ، وهبط درجتين خشبيتين ، ومدفعه الرشاش في قبضته اليمنى . وقال الحارس الجنوبي لسائق العربة :

ـ كيف الحال . هل وصلك خطاب من زوجتك ؟

فقال السائق :

ـ لم يصلني بعد . لا بد ان كل شيء هناك يسير على ما يرام .

وقال الحارس الشمالي لسائق العربة :

ـ مرحبا بك . هل مررت على بيتنا في القرية ؟

فقال السائق :

ـ نعم . وهذه ملابسك النظيفة . وعلى فكرة . اختك تسلم عليك . خذ . اتعرف ان اختك جميلة حقا ؟

ـ ها . اتريد ان تتزوجها ؟

ـ لا . يا ليت . سأتزوج ابنة عمي .

ومد الحارس الشمالي يده ، وتناول ربطة ملابسه من السائق ، وقذف بها داخل المخفر . وقال الحارس الجنوبي للجندي المرافق للسائق :

ـ اسرع . كدت اموت من الجوع .

فقال الجندي :

ـ اه . هكذا ! بسرعة !

ونظر الجندي عبر التلال متضاحكا . ورمشت عيناه من حدة الضوء . وافرغ حساء العدس في وعاء الحارس ، وناوله رغيفا واحدا . ومرقت العربة على الرمال صوب الغرب . وقال الحارس الشمالي للجندي الذي يرافق السائق :

ـ جئت اليوم مبكرا ، ولم اشعر بالجوع بعد .

فقال الجندي :

ـ انك لاتجوع ابدا . ومع ذلك ، ها انت لاتتمنع على طعام .

ونظر الجندي الى اللفافة الملقاة على ارض المخفر متضاحكا . وافرغ حساء الارز في وعاء الحارس ، واعطاه رغيفا واحدا . وانزلقت

* من المجموعة القصصية « عطشان يا صبايا » للمؤلف .

حاشيـــة

لاننا نقتات بالاشعار
في عالم التروس والاقمار
أحببت فيك نهرنا الوديع
وحقلنا الذي يصفر في الربيع
لان قرننا العشرين يلعق العشاق
جراحهم فيه ، تذوي نجوم الحب للمحاق
يصير كل ما يقال
أسفنجة مصفرة على الرمال
اسطورة من الهوى مريضة الاشواق !
أقسمت ان أصد جحفل التيار
وان اعيش ما يؤرق النهار
لتنبت الضياء في دجى الاحداق
اشعارنا وتغرس الصبا و « الزهور »
في عصرنا المزيف العطور ،
ألا أكون قطرة .. فقاعة تذوب
وربما تشل ريشتي .. لكنها تحيا على اللهيب

القاهرة

جيلي عبد الرحمن